مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنينِ واحداً ونَقَضَ في جسدِهِ حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأَبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائضِهِ ليخلُقَ الإثنينِ في نفسِهِ إنساناً واحداً جديداً بإجرائه السلام* ويُصالحَ كليهما في جسدٍ واحدٍ معَ اللهِ في الصليبِ بقَتلِهِ العداوةَ في نفسِه* فجاءَ وبشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأنَّ به لنا كلينا التوصُّلَ إلى الآبِ في روحٍ واحد* فلستُم غرباءَ بعدُ ونُزَلاءَ بل مواطني القديسينَ وأهلَ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرُ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسُهُ* الذي به يُنسّقُ البُنيانُ كلُّهُ فينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب* وفيه أنتم أيضاً تُبنون معاً مَسكِناً لله في الروح.

بين الغنى والملكوت

للوهلة الأولى، قد تبدو مفاهيم الغنى والفقر في الكتاب الإلهي ومقارباته لها، متضاربة بين عهديه القديم والجديد. فلطالما كان الغنى المادي ممدوحاً في العهد القديم، على أنه عطية من الله لمختاريه أشادت بها أسفار الكتاب الأولى. لنا للمثال ما كان من أحوال إبرهيم وإسحق ويعقوب في سِفر التكوين (١٣:٢، ٢٦:١٢، ٣٠:٤٣)، والملوك القديسين داود ويوشافاط وحزقيا في سِفر الأيام الثاني (٣٢: ٢٧–٢٩). الثراء المادي أيضاً يؤمّن العيش المستقل الكريم، ويحتاج اكتسابه إلى صفات إنسانية حميدة مثل الجدّ والحكمة والواقعية والإعتدال، على حد ما ورد مراراً على لسان كاتب سِفر الأمثال. بيد أن هذا الثراء، ودائماً بحسب العهد القديم، يبقى خيراً نسبياً بل ثانوياً إذا ما قيس بالخيرات الكاملة والنِعَم الأبدية الآيلة للمؤمن أمام وجه الله (مز ١١: ١٦)، وهو قد يصبح شراً وسبب سقوط للإنسان «الذي لم يجعَلِ اللهَ حِصنهُ بل اتَّكَلَ على كثرَةِ غِناهُ واعتزَّ بِفَسادِهِ» (مز ٥٢: ٧).

في النص الإنجيلي المتلو علينا اليوم، تحضر إشكالية الغنى الأرضي في العلاقة مع الله، بعد مَثَل الغني ولعازر الذي تلته علينا الكنيسة المقدسة قبل أسبوعين. في المَثَل الماضي أعاق الثراء صاحبه عن فعل الرحمة، فأُدين على أنانيته. مَثَل اليوم يذهب بنا إلى أبعد. الغني هنا «أخصبت أرضه» فاستغنى بنفسه عن الله. في المَثَل نراه يحدّث نفسه، يصنع المشاريع لغده كأنه دائمٌ أبداً. «هلُمَّ الآنَ أيُّها القائلونَ نذهبُ اليومَ أو غداً إلى هذه المدينةِ أو تلكَ وهناكَ نَصرِفُ سَنَةً واحِدَةً ونتَّجرُ ونربحُ. أنتم الذينَ لا تعرِفونَ أمرَ الغَدِ»، يقول القديس يعقوب في رسالته (٤: ١٣–١٤).

في سياق المَثَل نرى الغني في حيرة، لا يعرف ما يفعل بالخير الدافق عليه، وقد رآه القديس باسيليوس الكبير كالفقير المحتار في كيف يعتاش ومن أين يأكل. لعل مرد ذلك إلى أن الغني ما فكر لحظة في أن

العدد ٢٠٠٩/٤٧

الأحد ٢٢ تشرين الثاني

تذكار القديسين الرسل فيلمون وأبفيًا وأرشبُّس وأنيسيمُس والقديسة كيكيليا الشهيدة ومن معها وهما فليريانوس وتفورتيوس

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(لوقا ١٢: ١٦-٢١)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ غنيٌّ أَخْصَبَتْ أرضُهُ* ففكَّر في نفسِهِ قائلاً ماذا أصنعُ. فإنَّهُ ليس لي موضعٌ أخْزُنُ فيهِ أثماري* ثمَّ قال أصنَعُ هذا: أهدِمُ أهرائي وأبني أكبرَ منها وأجمعُ هناك كلَّ غلاَّتي وخَيْراتي* وأقولُ لِنَفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنينَ كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي* فقالَ لهُ اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك منك. فهذه التي أعدَدْتَها لِمَن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسِهِ ولا يستَغْني بالله* ولمَّا قال هذا نادى مَن لهُ أُذُنانِ للسمْعِ فليسمَعْ.

تأمل

الجائع يتضوّر جوعاً والعريان يرتجف من البرد... وأنت ترجئ عمل الرحمة. اسمع لما يقوله سليمان: «لا تقل تعالَ غداً لكي أعطيك» أنت لا تعلم ما سوف يأتي به الغد. لِمَ تزدرِ بكل النصائح وتغلق أذنيك بمحبة الفضة. كلمة واحدة تعرفها: لا أملك يشارك المحتاجين في ما يفيض عنه من خيرات، وبالتالي ما رد مجداً إلى الله الذي يعول الأخيار والأشرار على حد سواء، وفقط من فيض رحمته. «ماذا أصنع، فإنه ليس لي موضع أخزن فيه أثماري»، يقول الغني في نفسه كمن أصابته التخمة. في مَثَله هذا يضع السيد إصبعه على آفة الشره التي متى أصابت إنسان لا يعود يشبع، فيمسي تالياً أسوأ من البهائم. هذا نراه جلياً في الحل «الباهر» الذي وجده الغني: أن يهدم أهراءه ويبني أكبر منها، بدلاً من أن يقول أفتح أهرائي للفقراء وأعطيهم مما عندي منه الكثير. قد يتساءل المرء عن الضير في أن يحتفظ الإنسان في ما هو ملكٌ له. نظرياً يحق السؤال، لو كانت هذه الخيرات فعلاً «خيراته». يقول آباؤنا القديسون إن الله إن سمح بغنى إنسان فلكي يقتني فضيلة العطاء، وإن سمح بفقر آخر فلكي يكتسب الصبر والاتضاع. «إذا وجدت في خزانتك ثياباً لا تحتاجها فأنت سارقها»، يقول الذهبي الفم.

لعل مشكلة الغني الكبرى في هذا المَثَل تكمن في انغلاقه عن الله وعن القريب، ومن هنا حساباته الخاطئة. في ماذا يستثمر وهو اليوم هنا وغداً تحت التراب؟ لو كان هذا الرجل حكيماً لأحسن استثمار أمواله في اقتناء الفضائل، بالعطاء والعرفان، فيضمن إذذاك لنفسه تنعّماً أبدياً لا يزول. مشكلته الثانية أنه بات يستمد حياتاً من ثراء لا قيمة له في ذاته، يدّخره لغد لا يضمنه. هكذا صارت له الضمانة المزعومة سبباً للخطيئة. مَن يتذكَّر على الدوام أن حياته في يد خالقه وحسب، قلما يخطئء.

واضح أن الله أعطاه ملء الحرية بين الفضيلة والجشع، فظهرت ميول قلبه وصار ديّان نفسه. «يا جاهل»، يقول له الله. ما يسميه الناس حسن دراية ومهارة في الإدارة يسميه الله هنا، في لحظة الحقيقة هذه، جهلاً. ذلك أنه وفي المنطق الإستثماري البحت، يجد الغني نفسه يوم الفراق خاسراً إذ لم يبقَ له من أجل خلاص نفسه شيء. حقيقة أخرى أغفلها طيلة حياته وهي أن نفسه ليست ملكه، ولا حق له بالتالي في أن يستعبدها لخدمة ترابيته. لم يقل له الله «في هذه الليلة تموت»، بل «تُطلب نفسك منك». أي إنه لن يسأل فقط عن الخير الذي لم يفعله، بل عن تحكمه بنفس لا يملكها ولا سلطان ولا حق له عليها. لقد أمضى حياته يسيء التصرف بما ليس له فسيُدان بسوء الأمانة. هذا والإشارة إلى الليل بالغة الأهمية، فهو يرمز إلى أن حياة هذا الرجل كانت كلها ظلمة، وحتى اللحظة الأخيرة ما كان فيها عمل من أعمال النور. عاش في الظلمة، ففي الظلمة يمضي. إذاً «هذه التي أعدَدْتَها لمن تكون»؟ ولعل هذا السؤال هو أقسى ما في المَثَل. ما جمعه طيلة حياته هو نكرانه لخيرات الله وتنكره لأخيه. هذا ما اذخره لنفسه لذا سوف يمضي بالعذاب أبديته. كل عمره أمضاه أسير ماله بل عبداً له، سيدخل إذاً أبديته فقيراً عرياناً من أية فضيلة. هذا هو الجهل القاتل، و«هكذا من يدّخر لنفسه ولا يستغني بالله».

شيئاً لأعطيه، إني محتاج. في الحقيقة أنت محتاج وفقير لكل شيء صالح، أنت بحاجة إلى محبة البشر، بحاجة إلى الإيمان بالله وإلى الرجاء الأبدي. اجعل اخوتك يشتركون بطعامك، هذا الذي سوف يهترئ غداً. أعطه اليوم للمحتاج إليه. انه من أسوأ الطمع أن لا تعطي الفقراء حتى مما يهترئ عندك.

وتقول من أظلمُ ان حافظت على مقتنياتي؟ قل لي ما هي مقتنياتك؟ من أين أخذتها وجلبتها إلى الحياة؟ كما يجد الواحد مكاناً في المسرح ويمنع الآخرين من الدخول لاحقاً معتبراً ملكه ما هو مشترك: هكذا يكون بعض الأغنياء. بعد ان يحصلوا أولاً على الخيرات المشتركة يعتبرونها خاصة بهم بفضل الأولوية. ان أخذ كل واحد منا ما يحتاج إليه من أجل سدّ حاجته وترك ما يفضل إلى الذي بحاجة، لن يكون عندنا لا غني ولا فقير. ألم تولد عرياناً وتعود إلى الأرض عرياناً؟ ومن أين لك خيراتك؟ إن كنت تعتقد انها أتت من تلقاء نفسها صرت بريئاً ولا تعترف بجابلك ولا تكون شاكراً لواهبك، أمّا إن اعترفت انك أخذت ذلك من الله قل لي عندئذ لماذا

بانتظار مجيء المسيح

«وأمَّا ذلك اليومُ وتلكَ الساعةُ فلا يعلَمُ بهما أحَدٌ ولا الملائكةُ الذينَ في السماءِ ولا الإبنُ إلاَّ الآبُ. انظُروا. اسهَروا وصلُّوا لأنَّكم لا تعلَمونَ متى يكونُ الوقتُ» (مر ١٣: ٣٢–٣٣).

كثيراً ما نرى في الكنائس، وخاصة في كنائس الأديار، بيضة نعام تتدلى من سقف الكنيسة أو من الثريا الأولى أمام الباب الملوكي. قد يظن البعض انها بيضة فصحية كبيرة. لكن ليس هذا هو سبب تعليقها في الكنيسة. تتدلى بيضة النعام أمام أعين الرهبان لتذكّرهم بأن أنثى النعام تحرس بيضتها بصرامة، ولا تدع أحداً يقترب منها أو ينتزعها. فكما هي البيضة للنعامة هكذا أيضاً النفس للراهب وللمسيحي الحق، يحرسها ويحافظ على نقاوتها. نفس الإنسان هي مثل الكنز المخفي في الأرض (متى ١٣: ٤٤) أو اللؤلؤة الكثيرة الثمن (متى ١٣: ٤٥) بالنسبة للذين يدركون قيمة الهبة التي يسكبها الآب السماوي المحب على كلٍّ منا. نفس الإنسان ليست للبيع أو للمتاجرة وليست للمقايضة لكي يحصل الإنسان على حياة جميلة في هذا العالم وبحسب مقاييس هذا العالم.

الراهب كما المؤمن الحقيقي يحفظ في ذهنه ما يجب على المؤمن أن يفعله، ألا وهو الإنتباه والحفاظ على نفسه. «اسهروا وصلّوا» كما تعلن الكلمات الإنجيلية أعلاه. فالنساك كثيراً ما يصفون أنفسهم بأنهم هم الدائمو اليقظة والإنتباه، لئلا يوجدوا نياماً غير مستعدين لاستقبال الرب الآتي في مجده في مجيئه الثاني. ماذا سنحقق عبر الحفاظ على بعض أيام الصوم في الأسبوع وفي السنة سوى إقامة حارس على أعيننا ومعدتنا لكي لا ننغمس في الأكل والشرب والسكر، كما يفعل الوثنيون، ونخسر ضبط الذات؟ نصلّي عدَّة مرات في النهار فنبقى منتبهين لما نقول ونسمع ونشاهد وهكذا نبقى أيضاً صاحين ومتيقظين. الصوم والصلاة عنصران أساسيان في إبقاء المؤمن يقظاً وساهراً لاستقبال مجيء المسيح، إلاَّ أنهما خاصّان بالإنسان مع ذاته. لذا يبقى عليه أن يكون يقظاً وساهراً في تعاطيه مع مَن حوله من البشر، وهذا يتم عبر الإنتباه لأقواله لهم ولأفعاله معهم.

طريقة سهر المسيحي المؤمن الحقيقي تختلف عن الطريقة التي تعتمدها بعض الجماعات – المسيحية – الأخرى في ترقبها لمجيء المسيح الثاني. هؤلاء يتوقعون المجيء الثاني ولكن لا يتهيأون له كما يوصي الكتاب وإيماننا. هم يشدِّدون من جهة على المجيء الثاني ويُرعبون الناس من النتائج التي قد تحل بهم إذا لم يكونوا مؤمنين بالمسيح، ولكنهم يتجاهلون التهيئة التي يجب على المؤمن القيام بها لكي يستعد لاستقبال ملك الكل. هؤلاء يشبهون إنساناً بنى مصنعاً كبيراً للمنتجات الخشبية وجلب أحدث المعدات وأفضل المواد الأولية، لكنه لم يشغّل المعمل. فكل ما قام به لا فائدة منه. هكذا أيضاً مَن لديه إيمان عظيم بالرب وبمجيئه الثاني،

أخذتها؟ هل الله ظالم إلى حدّ انه يوزّع خيرات الحياة بطريقة غير متساوية؟ لماذا أنت تغتني وذاك يجوع؟ ألم يكن ذلك لكي تكتسب أنت أيضاً أجراً لفضيلتك وإيمانك من أجل تصرّفك بالمال وذاك لكي يتكلّل بجوائز الصبر العظيمة. لكنك بعد ان حويتَ هذه الخيرات، في أحضان الطمع التي لا حدّ لها تعتقد الآن أنك لا تظلم أحداً بينما تنفّر الكثيرين. ترى من هو الإنسان الجشع؟ هو الذي لا يكتفي بحاجته. من هو السارق؟ هو الذي يغتصب أغراض الآخر. أنت إذاً لست جشعاً ولا سارقاً بعد ان امتلكت ما أُعطي لك لتتوكّل بصرفه. إن كان الذي يعرّي الآخر من لباسه يُدعى لصاً، فماذا ندعو ذاك الذي لا يُلبس العريان شيئاً مما فاض عنه؟ الخبز الذي تخبّئه عندك هو ملك للجائع. واللباس الموجود في خزانتك هو ملك للعريان والحذاء الذي عندك يهترئ هو للحافي القدمين. المال الذي تقتنيه على الأرض هو للذي بحاجة إليه. فأنت إذاً تظلم كل الذين تستطيع أن تساعدهم.

القديس باسيليوس الكبير

لكنه لا يُترجم توقعه للمجيء الثاني بالسهر، بالصوم والصلاة والعمل. العذارى الجاهلات كنَّ أيضاً يتوقعن مجيء العريس وينتظرن قدومه، إلا انهن لم يملكن الحس لجلب الزيت الكافي لإضاءة مصابيحن متى جاء العريس (متى ٢٥: ١-١٣). وزيت المصابيح التي تُعطي النور الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان (متى ٥: ٦). لا يمكن للمسيحي الذي مُسح بمسحة الروح القدس، بالميرون المقدَّس، وصار هيكلاً للروح، أن يجلس ويحدق في السماء متسائلاً متى يعود المسيح. كلنا نعيش في حالة انتظار. نعم نؤمن ان الرب يسوع هزم الشيطان عندما عمل إرادة الآب وقَبِلَ الموت طوعاً على الصليب، عندما قام من بين الأموات وجلس عن يمين الآب. نعم نؤمن ونتطلّع إلى «العالم الآتي» منتظرين الآتي بمجد ومعه المنتهى. إلا اننا فيما نصرخ مع كل مؤمن منتظر مجيء الرب «تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠)، نحن واعون اننا ما زلنا في صراع مع الشرير ومع الخطيئة التي في داخلنا وتقف حاجزاً أمام جهوزيتنا لاستقبال الملك الآتي بمجد. لذا نحن نحمل صليبنا اليوم، نصلّي ونصوم ونعمل بحسب الوصايا، مجاهدين بكل قوانا العقلية والروحية والجسدية لتنقية نفوسنا من كل دنس بمؤازرة الثالوث القدوس.

ملاحظة أخيرة فيما نحن نستعد لاستقبال عيد ميلاد الرب بالجسد: إن الذي سيولد بعد أيام في بيت لحم ما هو إلاَّ الذي سيأتي في المجيء الثاني بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات. لذا فإننا عندما نتهيأ لاستقبال هذا العيد الحاضر نكون نستعد لاستقبال الملك الآتي ثانية بمجد. الذي وُلد في بيت لحم هو نفسه سيأتي في اليوم الأخير، وميلاد الرب فتح لنا طريق الملكوت. نستعد لعيد الميلاد كما نستعد للمجيء الثاني. الفرق الوحيد هو اننا في الميلاد نعرف تاريخ العيد أما المجيء الثاني فلا نعرف متى سيحصل. والكنيسة وضعت لنا هذا العيد وغيره من الأعياد لكي تحفّزنا على الإستعداد الدائم لأننا لا نعلم «متى يكون الوقت» الذي يحل فيه اليوم العظيم. الأعياد مناسبات مباركة لكي تذكّرنا بالخلاص الذي منحه الله لنا والذي سنحصل عليه في اليوم الأخير إذا كنا مستعدين مثل العذارى العاقلات.

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٩ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb